أفكار ورؤى لتطوير التعليم الجامعي

■ د. طارق منصور الطرباقية
. جامعة قاريونس

اولاً : مقدمة :

لو نظرنا إلى تطور التاريخ لوجدنا أن المجتمعات قد انتقلت من مجتمعات زراعية الى صناعية وتطورت الصناعية من اليدوية الى الآلية واستخدام الخلايا المرنة في الانتاج مع زيادة الاعتماد على الإنسان الآلي، وقد صاحب هذا التحول تطور في علم الادارة وتغيرت مفاهيم كثيرة بفضل ثورة المعلومات ومانتج عن هذه الثورة ووصولاً الى شبكة المعلومات العالمية (الانترنت) التي أدت إلى تطور تقنية المعلومات وما صاحبها من طفرات تقنية مماثلة في مجال الإتصالات والالكترونات والهندسة الوراثية فضلاً عن التغيرات الجذرية في النظم والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وبروز ما يسمى العولمة الى اهتمام مركز بالانسان والتنمية البشرية باعتبارهما غاية كل تقدم اقتصادي ومادي وبنفس المنطق فان الاهتمام بالانسان مصدراً للفكر والابداع تخطى بمراحل النظرة الإتقليدية له باعتباره عنصراً من عناصر الإنتاج يتمتع بقدرات جسمانية ومهارات يدوية فنية بالدرجة الأولى .

ومن ثم صار الاهتمام بالعلم والتطوير ركيزة أساسية في المنظومة العالمية الجديدة وأصبح نتاج العقل الانساني وتراكم الإبداع العلمي والتقني متمثلاً فيما يسمى بالمعرفة سمة العصر الجديد (عصر المعرفة) (1) ويعبر العالم بيتر

دركو (2) عن تلك التحولات المؤدية الى بزوغ وسيطرة المعرفة (تدرجاً وانتقالاً من عصر المعلومات) كما يلي :

1ـ إن المعلومات تحل محل السلطة الان .

2ـ لايكفي المسؤول معرفة ما حوله بل ايضاً معرفة نفسه .

3ـ إن المعيار الاهم لتقييم المسؤول هو مدى صعوبة عمله وحجم وانواع المعلومات التي يستخدمها وينتجها .

4ـ العالم يتحول الآن من نظام يقوم على الأمر الى نظام يقوم على المعرفة .

واصبح اهم عنصر من عناصر القدرة التنافسية هم اصحاب المعرفة الموارد البشرية وهم الذين يباشرون الانشطة المعرفية ويتميز هذا العصر بالآتي :

1ـ سيطرة المعلومات على مختلف مجالات الحياة وبروز صناعة المعلومات باعتبارها الركيزة الاساسية في بناء الاقتصاد الوطني .

2ـ بروز الانشطة الفكرية في تأثيرها الكبير على المنظمات والانشطة في مختلف المجالات .

3ـ بروز الخدمات باعتبارها الجانب الأهم في النشاط الاقتصادي .

4ـ تزايد جرعة المعلومات في تكوين السلع والخدمات بحيث اصبحت تمثل النسبة الغالبة في تكلفة الانتاج .

5ـ الاستثمار المكثف لنتاج الفكر الانساني المتمثل في البحوث والدراسات والتحليلات الفكرية والمبتكرات المستخدمة في مختلف آليات معالجة متطلبات الحياة .

6ـ الاستثمار المكثف لتقنيات الحاسوب والاتصالات والالكترونات والمزج بينها لتحقيق أعلى درجة من التواصل والعمل في الوقت الحقيقي .

7ـ التطوير المتسارع في المكونات البرامجية وتيسير التعامل بالحاسوب في مختلف المجالات .

8ـ الانتاج الكبير المتسارع للمعلومات وارتباط انتاجها بالمستخدمين لها في

شبكة محلية وعالمية هي في حد ذاتها متشابكة .

واصبحت تقنية المعلومات هي الاداة الرئيسية لهذا العصر وقد نتج عن هذه التقنية شبكة الانترنت والتي اتاحت ظهور اساليب جديدة منها (التجارة الالكترونية ، المكتبات الرقمية ، العلاج عن بعد ، العمل من على بعد ، تطوير التصنيع ، الصحافة ، التعليم عن بعد .. الخ) .

ولتحقيق مواكبة العصر والتي تتطلب دعم البنية الاساسية اللازمة للتنمية العلمية، ومن الطبيعي ان لايأتي التقدم العلمي من فراغ إذ لابد ان يستند الى نظام تعليمي متقدم يقوم على تشجيع البحث وليس على الحفظ والتلقين اذن لامناص للسياسات التعليمية من ان تتبدل ...وللمؤسسات التعليمية من ان تتجدد ... ولوسائل عمل جديدة من ان تستحدث وهذه مهمات من المتوقع ان تقوم بها امانة اللجنة الشعبية العامة للتعليم العالي (8،7،6،5،4،3) .

ثانياً : المقترح الأول : الجامعة المسائية او التعليم الموازي :

مما لاشك فيه ان الجامعات لايصلح فيها التقسيم الى تعليم متميز وآخر غير متميز فلابد ان يكون التعليم الجامعي في نفس المستوى والجودة ومع تزايد اعداد الطلبة يتطلب الامر فتح المزيد من الجامعات ومن هنا انتشرت الجامعات الخاصة او الاهلية وهي فكرة حضارية لكن تنقصها الامكانيات والبنية التحتية (معامل ، مدرجات ، مكتبات ... الخ) ومن باب الاستفادة القصوى من الامكانيات المتاحة اقترح تطبيق نظام الجامعة المسائية او التعليم الموازي وهي لنفترض مؤسسة مثل جامعة الفاتح فيها البنية التحتية الشاملة للعملية التعليمية يتم الاستفادة منها في الفترة المسائية ، وتعامل على اساس انها جامعة اهلية وهذا النظام يحقق الفوائد التالية :

1ـ إستيعاب الطلبة الذين لم يتمكنوا من الإلتحاق أو الإستمرارية (المنقطعون عن الدراسة ،الطلبة المفصولون ، الطلبة غير الوطنيين ، الطلبة الراغبون في الدراسة ولم تسمح لهم ظروف عملهم او ظروفهم الاجتماعية ... الخ).

2ـ الإستفادة من إمكانيات أعضاء هيئة التدريس وتحسين مواردهم

وتخفيف الأعباء عليهم بدلاً من ذهابهم الى خارج مناطق سكناهم (الجامعات المجاورة) وضمان توفير ما يحتاجه عضو هيئة التدريس لتنفيذ العملية التعليمية .

3. ضمان نفس مستوى الجودة لتنفيذ العملية التعليمية مقارنة بين التعليم الجامعي العادي والفترة المسائية .

4. تحقيق موارد مالية للجامعة والتي تكون مشاركة بين الجامعة وأعضاء هيئة التدريس .

ويحتاج هذا المشروع إلى تشكيل لجنة لوضع آلية للتنفيذ وتطبيق نموذج على إحدى الجامعات والإستفادة من النقاط الإيجابية ومعالجة السلبيات وتعميمها على باقي الجامعات .

المقترح الثاني : تطوير العملية التعليمية :

أ- عضو هيئة التدريس :

كما أشرنا في المقدمة أصبح هذا العصر عصر السرعة وعصر المعلومات، وعليه يعتبر من أهم المرتكزات تطوير أعضاء هيئة التدريس لمواكبة هذه التطورات. ومن هنا نرى أن تقوم الجامعات بإعداد برامج تدريبية شاملة لكل أعضاء هيئة التدريس وفي جميع التخصصات وتشمل الحاسوب والإنترنت ودورات خاصة في مجال الإدارة خاصة لأعضاء هيئة التدريس الذين يتدرجون في وظائف قيادية. والمعروف أن أغلب هذه الدورات يقوم بها اعضاء هيئة تدريس متخصصون لمؤسسات المجتمع الاخرى عليه سوف يقوم اعضاء هيئة التدريس من أقسام الحاسوب ، الإدارة ، الإحصاء ... باعطاء دورات تدريبية متجانسة لزملائهم للتعامل مع الإنترنت وإرسال البريد الالكتروني واستخدام الأساليب الإحصائية والتي تعتبر مهمة جداً في العملية التعليمية .

ب- المناهج والمقررات :

لقد تغيرت مفاهيم كثيرة وقامت العديد من الجامعات بإعادة هيكلة الكليات

والأقسام وإلغاء تخصصات وتطوير مناهج وقامت بإجراء دراسات عن طريق احتياجات أسواق العمل من التخصصات وعليه لابد من تشكيل لجنة وطنية لإعادة النظر في الأقسام والتخصصات وتشكيل لجنة لدراسة المناهج والمقررات ومدى مواكبتها لتطورات العصر وهل ما يتم تدريسه يتوافق مع هذا العصر .

ج- الكتاب الجامعي :

بعد اعتماد المقررات والمناهج اصبح العالم يتجه إلى الكتاب الإلكتروني على الإسطوانات المدمجة CD والتي تحقق فوائد عديدة ومنها سهولة اضافة مادة جديدة والتطوير المستمر والحفاظ على البيئة من التلوث الناتج من مخلفات الكتاب الورقي وقلة التكاليف مقارنة مع الكتاب الورقي وسهولة التخزين وعدم إرهاق الطلبة في البحث عن المذكرات ومراكز التصوير والخدمات ومنع احتكار المناهج و سهولة حمل المادة العلمية وعدم تأثر الطلبة من فقدان المادة العلمية لسهولة تعويضها او تخزينها وتوحد المادة العلمية على مستوى الجامعات ... الخ ولابد من الشروع في تنفيذ هذا المشروع الاستراتيجي والذي سوف يحقق وفرة مالية كبيرة ويحقق فوائد عديدة .

المقترح الثالث : الحضانات الجامعية :

وهي وسيلة فعاله لإعداد الشباب للاعتماد على الذات حيث نلاحظ ان الجامعات والمؤسسات التعليمية اتجهت الى تخريج موظفين بدلاً من تخريج خريجين يملكون روح المبادرة والإقدام والإنجاز والحضانات تعرف بانها وسيلة تم تصميمها للمساهمة في استحداث المشروعات ومساعدتها على النجاح وتوفر الحضانة للأعضاء الملحقين بها بيئة تربوية ومكاناً مناسباً ومساعدة في مجال إدارة الأعمال وتقدم الحضانات الرأي الفني والمالي والاداري وتنمى في الطلبة روح الابداع والابتكار .

ومن هنا يتطلب قيام الجامعات بانشاء حضانات على ان يشارك في رعاية هذه الحضانات النظام المصرفي ، الغرف التجارية ، صندوق التحول إلى الانتاج ، أمانة التكوين وتعتبر مرحلة تدريب ميداني للشباب .

المقترح الرابع : التعليم الإلكتروني :

سارعت العديد من دول العالم إلى تطبيق التعليم الإلكتروني والذي يمنح الفرصة لكافة الأعمار القادرة على اختيار ما يرغبون أو يحتاجون لتعلمه بالكيفية التي تناسبهم محققين غاياتهم الشخصية في تعلم مستمر مدى الحياة ويمنح المعلمين قدرات على الخلق والإبداع لتطوير طرائق جديدة للتعليم تتناسب مع مجتمع المعرفة، وهذا النظام يوفر مرونة تمكنه من الإيفاء برغبات واحتياجات طالبي العلم بالكيفية التي تناسبهم وبعيداً عن قيود الزمان والمكان ويحتاج الأمر لوضع استراتيجية للتعليم الإلكتروني وخطة واضحة ومفهومة لكل المستويات وفي تقديري ان تقوم (الجامعة المفتوحة) بالشروع في تطبيق هذا المقترح .

المقترح الخامس : هيئة أو لجنة لضمان جودة التعليم :

وهي هيئة أو لجنة تتكون من أعضاء هيئة تدريس متميزين وقد يكونوا متقاعدين تكون مهمتهم الإشراف على ضمان جودة العملية التعليمية والتأكد من إلتزام أعضاء هيئة التدريس بالواجبات والمهام المطلوبة منهم، كذلك تلقى شكاوى الطلبة ويمكن إنشاء صناديق لتلقى المقترحات والمشاكل والصعوبات التي تعترض العملية التعليمية .

المقترح السادس : توحيد السجلات والرقم الموحد :

ويتطلب الامر توحيد سجلات ووثائق الجامعات على مستوى الجماهيرية ويتم تصنيف وترميز كل الأوراق والإفادات والشهادات وذلك من خلال تشكيل لجنة لتوحيد الوثائق، كذلك يتم وضع رقم موحد لكل طالب وتكون على مستوى الجماهيرية لكلّ الجامعات ويضمن هذا الرقم معرفة كل البيانات عن كل طالب او طالبة ويمكن من خلال هذا الرقم حصر كل الطلبة وكذلك الإستفادة من التقنية في إنشاء بوابات لمداخل الجامعات والمكتبات لضمان دخول الطلبة دون تسرب عناصر غير مطلوبة لهذه المؤسسات ويحقق هذا النظام العديد من الميزات والفوائد .

ثالثاً : الخلاصة :

هذه بعض الافكار والرؤى التي تتطلب تكليف لجان متخصصة من الأساتذة الذين لديهم خبرة تعليمية متميزة مع الإحتفال بالذكرى الخمسين لتأسيس الجامعة والإعتماد على الذات في تطوير مؤسساتنا التعليمية لمواكبة هذا العصر ولتحقيق تعليم عال متميز وتحقيق الجودة المنشودة .

1ـ علي السلمى ، الادارة بالمعرفة ، الجمعية العربية للادارة ، القاهرة 1998 .

2ـ بيتر دركر ، الادارة في وقت التغيرات الكبرى ، نيويورك ، 1995 .

3ـ طارق الطرباقية ، محمد جبريل ، الادارة الجديدة في عصر المعلومات، الندوة الرابعة شبكات المعلومات ، طرابلس 1998 .

4ـ توصيات المؤتمر الدولي الثالث للتعليم الهندسي والتدريب ، اليونيسكو ، مصر 1994 .

5ـ علي الورفلي ، خيرية الورفلي ، التعليم الالكتروني ، الندوة الخامسة حول تقنيات المعلومات ، طرابلس 2004.

6ـ طارق الطرباقية ، سلوى المقريف ، تقنية المعلومات والتدريب ، الندوة الخامسة حول تقنيات المعلومات ، طرابلس 2004.

7ـ سعد الجبالي ، الحضانات وسيلة فعالة لاعداد رجال الاعمال ، الملتقى العربي الثالث للموارد البشرية ، القاهرة 1997 .

8ـ مجلة المصور ، العدد 4173 ، اكتوبر 2004 مصر .